مجلة العلوم الانسانية، ١٤٢٥ هـــ. ق، العدد ١١ (٢): ١١_١٩

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

الصُلَيحيّون و آثارهم المعماريه في اليَمنِ

فاطمة جان احمدى[1]

شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدَولةُ الصُليّحية (٤٣٩-٥٣٢ هـــ/١٠٤٧-١١٣٧م) نهضة حضارية عظيمة، إذ إهتم الصُليحيّونَ إهتماماً عظيماً بالاعمار و البناء و ظهر ذلك على صنعاء عاصمة الدولة الصُليحيّة وساير المدن اليمنية الهامة كذي جبلة وتعكروإيب. لقد اهتم الصُليحيّون بتعمير و ترميم و اصلاح و انشاء المدن و تشييد العمائر الدينية و الحربية على الاساس سياستهم الراقية الى اصلاح اليمن عامة. لهذا السبب يتميز هذا العصر بكثرة المساجد و الاماكن الدينية الجميلة و المعالم العظمية و ما ينسب للبناء الصُليحي من فضل في عمارة المساجد في اليمن هو إدخاله العناصر المتعددة و التقاليد الجديدة في بناء المساجد المتمثلة في عنصر المحراب كقطعة فنية جميلة او البلاطة الوسطى و المآذن المزخرفة البديعة.

الكلمات الرئيسة: الصُليحيّون، اليمن، صنعاء، العمارة

المقدّمة

ازدهرت الحضارة في اليمن خلال العصور المتعاقبة قبل العصر الاسلامي. وبانتشار الاسلام كانت اليمن في مقدمة البلاد الاسلامية التي دخلت قبائلها افواجاً في هذه الدين الجديد، و من ثم شاركت في نشر الاسلام من خلال الفتوحات الاسلامية مشاركة واضحة و قوية.

انقادت اليمن للدولة الاسلامية منذ بدايتها في عصر النبوة (ص) و عصر الخلفاء الراشدين (١١-٤٠هـــ/٦٣٢-٦٦١م) حتى العصر العباسي الاول حيث قامت الدويلات المستقلة تحكم اليمن و منها الدولة الزيادية و الدولة اليعفُرية و الدولة الاسماعيلية الاولى[2].

في نصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، خرجت بلاد اليمن من حكم العباسيين بسبب نجاح الدعوة الاسماعيلية التي تنسب إلى اسماعيل بن جعفر بن موسى الكاظم و هي الدعوة التي بدأت منذ عام ٢٦٦هـــ/٨٧٩م)، يرجع الفضل في نجاح هذه الدعوة و تأسيس الدولة الإسماعيلية الأولى إلى الداعي ابوالقاسم حسن بن فرج بن حوشب (٣٠٣ هـــ/٩١٥م) المعروف بمنصور اليمن والداعي علي بن فضل (٣٠٢هـــ/ ٩١٤ م).[3]

و كان لابن حوشب الاثر الكبير في بقاء الاسماعيلية في قلوب اهل اليمن، لانه كان قدوة حسنة للذين اعتنقوا المذهب الاسماعيلي. بعد موت علي بن فضل و ابن حوشب انتهت الدولة الاسماعيلة الأولى وخف ضوء الدعوة في اليمن مع وفاتهما و تحولت من العلانية و القوة الى العمل السري للحافظ على ما تبقى من أمر

١. عضو الهيئة التعليمية قسم التاريخ بجامعة الزهراء، طهران، ايران

٢. عصام الدين عبدالرؤف: اليمن في ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دارالفكر العربي، ١٩٨٣، صص٥-٤.

٣. تقى الدين احمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمى محمد احمد، القاهرة، ١٩٧١، ج١، ص ٥١. احمدبن على بن القلقشندى، صبح الاعشى، شرحه و علق عليه و قابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، بيروت لبنان، دارالكتاب العلميه، ١٩٨٧، ج١٣، ص ٢٣٣.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

الحركةالاسماعيلية[1] في خلال هذه الفترة تعاقب الدعاة الاسماعيليون على شؤون الدعوة حتى انتقلت الدعوةالى رجُلٍ يسمي سليمان بن عبدالله الزواحي[2] فدعى إلى الحاكم و الظاهر و المستنصر و المستعلى و كان كثير المال و الجاه[3] فلما احتضر استخلف علي بن محمد الصُليحي[4] مؤسس الدولة الاسماعيلية الثانية في اليمن (٤٣٩-٤٥٩ هـ/١٠٤٧-١٠٦٦م) و هي الدولة التي عرفت بالصليحية[5].

يعد علي بن محمد الصُليحي من اعظم الشخصيات التي ظهرت على ساحة اليمن رغم كل الصعاب التي واجهتهفي بداية حكمه نتيجة الاحوال السيئة في هذه لبلاد.

و لم يزل شأنه يظهر شيئاً فشيئاً حتى اعلن الثورة في جبل مسار و وصل الشيعة من أنحاء اليمن و جمعوا له الاموال الجزيلة و اظهر الدعاء إلى المستنصربالله الخليفةالفاطمى بمصر ثم سارالى صنعاء فملكها[6] وخضعت اليمن لحكمه وسيطرته و الحق ان الصُليحي — رغم ديانته الاسماعيلية — لم يجبر اهل اليمن على التزام بمادىء مذهبه بل ترك حرية الانتخابَ لاهلها دونما اجبار أو أكراه و إرغام.

فى سنة ثلاث و خمسين و اربعمائة كتب علي بن محمد الصُليحي إلى المستنصر الفاطمى يستأذنه في اظهار الدعوة و وجه إليه هدية جليلة منها سبعون سيفاً قوائمها من عقيق. فقبل المستنصر هديته و أمر له برايات و كتب عليها الالقاب و عقد له الولايةو أذن له فى نشرالدعوة[7]. و تمكن الداعي الصُليحي في فترةقصيرةمن القضاء على كل من الدولة النجاحية فى زبيد و الزيدية فى شمال البلاد مسيطراً بذلك على معظم اليمن، فكان الصُليحي فى الوقت نفسه، سلطاناً و داعياً أي أنَه كان على رأس كلَ من الدولةو الدعوة فى اليمن.

بدأ تقلَص النفوذ الصُليحي مع اغتيال الداعي علي بن محمد على يد سعيد الاحوال النجاحى[8] (ت ٤٦١هـ/١٠٦٨م) و قيام الزيديةو عدد من السلاطين المحليين فى سائر أرجاء اليمن، فواجه المكرم احمد بن على مصائب جمّة فى بداية حكمه فقضى السنين الاولى محاولاً إخضاع من ثار ضد دولته. ثم إن المكرم فوّض الامور إلى زوجه الحرّة الملكة الصُليحية و اسمها سيدة بنت احمد بن جعفر الصُليحي.

حكمت الملكة الحرّة في اليمن حتى وفاتها مدة خمس و خمسون عاماً، و قد لعبت دوراً اساسياً فى اطالة حياة دولتها رغم المصائب التى واجهتها. نقلت عاصمة الصليحيين من صنعاء إلى ذى جبلة فى اليمن الجنوبى فتخلصت بذلك من الخطر الزيدي.

استمرت العلاقات جيدة بين مصر و اليمن في عهد الملكة الحرّة. فبعد وفاة الإمام المستنصر بالله (سنة ٤٨٧ هـ) شب نزاع في مصربين نزار و مستعلي. و ما كان من السيدة الملكة الحرّة إلا أن اعلنت ولاءها للإمام المستعلي. استمر الحال على هذا المنوال حتى وفاة الامام الآمربالله سنة ٤٩٤هـ و استيلا و ابن عمه عبدالمجيد الحافظ (ت ٥٤٤هـ) على الحكم مما دفع ابنه الامام الطيب، و كان مازال طفلاً إلى الدخول فى الستر خوفاً على حياته. فما كان من السيدة إلا ان اعلنت ولائها للإمام المستور قاطعة بذلك كل علاقاتها مع مصر الفاطمية. فانتشرت بذلك الدعوة الطيبية في اليمن و الهند و السند. توفيت الحرة بذي جبلة سنة اثنتين و ثلاثين و خمسمائة و دُفنت في المسجد الذى أنشأته بذي جبلة فى غربي المقدم.

---

١. انظر: سيف الدين القصير: ابن حوشب و الحركة الفاطمية في اليمن، دمشق: دارالينابيع. ١٩٩٤.

٢. الزواحي قرية من اعمال حراز و حراز احد مخاليف اليمن الكبير الواقعة فى غرب صنعاء و من جبال السراة، قرة العيون باخبار اليمن الميمون، ص ١٤٤.

٣. بهجة الزمن، ص ٧٤.

٤. قرة العيون باخبار اليمن الميمون، ص ١٥٧.

٥. عمارة اليمني ذكر ان الصُليحي ثار في عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م و كان معه يومئذ ستون رجلاً نجم الدين عمارة بن علي اليمني: تاريخ اليمن المسمي المفيد في أخبار صنعاء و زبيد و شعراء ملوكها و اعيانها و ادبائها، تحقيق القاضي محمد علي الأكوع، نشر مطبعة السعادة ١٣٩٩، صص ١٠١-١٠٣.

٦. قرة العيون باخبار اليمن الميمون، ص ١٧٤.

٧. انظر: عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدا و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٩٢، ج٤، ص ٢٦٧؛ و ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان، بيروت، دار صادر، بلا تاريخ، ج ٣، ص ٤١٢.

٨. عمارة، تاريخ اليمن، ص ١٠٥ و قرة العيون، ص ١٨٢ و المقريزى، اتعاظ الحنفاء، ج ٣، ص ٢٥ و ابوالفداء الحافظ بن كثير، البداية و النهاية و معه نهاية البداية و النهاية فى الفتن و الملاحم، تحقيق و توثيق صدقى جمل العطار، بيروت، دارالفكر

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

صنعاء حاضرة للدولة الصُليحيّة

شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدولة الصليحية (٤٣٩-٥٣٢هـ/١٠٤٧-١١٣٧م) نهضة حضارية عظيمة، إذ إهتم الصُليحيّون إهتماماً عظيماً بالاعمار و البناء و ظهر ذلك على صنعاء عاصمة الدولة الصُليحيّة و ساير المدن اليمنية الهامة كذي جبلة وتعكر و إيب.

لقد اهتم الصُليحيّون بتشييد المدن على أساس سياستهم الراقية الى اصلاح اليمن عامة. بدأها الداعي علي بن محمد الصُليحي عند سيطرته على اليمن كلّه سهله و وعره و برّه و بحره، فلم يشأ الداعي علي بن محمد الصليحي إنشاء مدينة جديدة تكون حاضرة لدولته و لكنه اتخذ صنعاء حاضرة له و قد كان أختيارهم انذاك عن معرفته بأحوال اليمن وإدراكه التام لاهميتها الخاصة بين المدن اليمنية و التي يصفها الهمداني في تاريخه: "صنعاء هي ام اليمن و قطبها و فيها لانها في الوسط منها"[1]

و ايضاً قال ابن حوقل "ليس بجميع اليمن مدينة لاكبر و لا اكثر مرافق و أهلاً من صنعاء و فيها كانت ديار ملوك اليمن"[2]

و قال ابن فضل الله العمري ايضاً: "صنعاء دارالملك و هي قاعدة ملك اليمن في قديم الزمان و اوقاتها كلها مناسبة الاعتدال لذيذة الهواء و كثيرة الفواكه و هي تشبه بعلبك في الشام لتمامها الحسن و حسنها التمام".[3]

انطلاقاً من هذه الاهمية العظيمة لصنعاء اتخذها الداعي علي بن محمد الصُليحي حاضرة لدولته؛ فقد أدرك أن هدفه الاكبر المتمثل في وحدة بلاد اليمن لن يتم الا بسيطرته علي صنعاء.

و يشير المؤرخ يحيى بن الحسين الى صنعاء خلال قيام الداعي علي بن محمد الصُليحي قائلاً: "و كان على صنعاء أيام الصُليحي ابن ابي حاشد و التقيا في وقعة "صوف" فأقتتلوا قتالاً شديداً و كانت الدائرة على صاحب صنعاء ثم سار الصُليحي إلى صنعاء فملكها".[4]

و يذكر على الدبيع: "و إستقر في صنعاء و اخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكم وأسكنهم معه و اختط بصنعاء عدة قصور".[5]

و هذا الامر يدل على إصرار الصُليحي للسيطرة على صنعاء و اختياره إياها عاصمة لدولته و استقراره فيها، مما كان له الاثر الكبير في ازدياد نفوذه في اليمن نظراً لأهميتها كأهم مدينة في اليمن و لموقعها الجغرافي الفريد.[6]

و عمّا كانت عليه صنعاء قبل مجيء الملك علي بن محمد الصُليحي من سوء الحال يقول المؤرخ الرازي (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٨م): "و قد خربت صنعاء و عادت و هي اليوم خراب، و أرجو أن الله تعالى يعمرها بالصالحين من عباده"[7]

و يبين لنا هذا النص ما كانت عليه صنعاء من خراب نتيجة الاحوال السياسية المتردية التي كانت عليها بلاد اليمن قبل قيام علي بن محمد الصليحي و قد أثرت هذه الاحوال المتردية سلباً علي العمارة الدينية بوجه خاص و المرافق على اختلاف أنواعها فأهملت المساجد إهمالاً شديداً و خربت المرافق و من هنا كان أهتمام الدولةالصليحية موجها للعناية بمدينة صنعاء، فعندما إستقر الأمر للصُليحيين شرع قادة هذه الدولة في توطيد الأمن لتحقيق الاستقرار و بالتالي البدء في حركة عمران كبيرة شملت العناية بالمساجد من ترميم و إصلاح و تجديد و إقامة للمرافق.[8]

والواقع أن ما كتبه المورخ الرازي فـــي القرن الخامس الهجري، ذواهميتة بالغة؛ إذ إنه عاصرفترة ما قبل الداعي علي بن محمد الصُليحي وكان على دراية كبيرة بأمور صنعاء.

هذا و قد ظل الداعي علي بن محمد الصُليحي يحكم اليمن و صنعاء عشرين عاماً و أنتهت حياته بمقتله في مدينة المهجم عام

---

١. الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع، صنعاء، مركز الدراسات و البحوث اليمني، ١٤٠٣ هـــ، صص ١٠٢-١٠٣.

٢. ابوالقاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي: صورة الارض، بيروت، نشر دار المكتبة الحياة، ١٩٧٩، ص ٤٣.

٣. شهاب الدين بن فضل الله العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار، القسم الخاص بممالك اليمن، تحقيق أيمن فؤاد، القاهرة، ١٣٠١، ص ٦٢.

٤. يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد: غاية الاماني في اخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، جزآن، القاهرة نشر دارالكتاب العربي، ١٣٨٨، ص ٢٤٩.

٥. قرةالعيون باخبار اليمن الميمون، صص ١٧٦-١٧٧ و ايضاً: حسن سليمان محمود، الملكة أروي سيدة ملوك اليمن، نشر دارالثنا، للطباعة و النشر، ص ١١.

٦. عصام الدين عبدالرؤف، اليمن في ظلل الاسلام، ص ١٤٩.

٧. احمد بن عبدالله بن محمدالرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق عبدالله العمري، صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠١م، ص ١٨.

٨. الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٢٨.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

٤٥٩ هـ/١٠٦٦م[1].

و الجدير بالذكر أن مدينة صنعاء التي أولاها قادة الدولة الصليحية أهمية و عناية خاصة تشغل مكانة هامة في التاريخ اليمني و كذلك بين المدن اليمنية الكبرى، فهي كما يذكر بعض المورخين: إحدى جنان الارض عند كافة الناس، تقع في السفح الغربي من جبل نقم ملتقى ثلاث قبائل هي بنو الحارث من الشمال و سنحان من الجنوب و بنو مطر من الغرب، و كانت مقسمة إلى أحياء و تعرف بالدروب، و تعرف أحياء صنعاء الان بأسماء المساجد الواقعة فيها[2].

و لا شك أن الصُلحيين قد أولوا هذه المدينة عناية فائقة على اعتبار أنها كانت مقر الحكم للدولة الصُليحية، خاصة و إنَ صنعاء قبل الصُليحيين قد تعاقب عليها عدة دويلات من خلال منازعات طاحنة كما تقدم. فكان لابد قدر الامكان من العناية بها، خاصة و إن النص الذي ورد في تاريخ صنعاء للرازي و الذي أشرت اليه يفهم منه تلك الحالة السيئة التي كانت عليها آثار هذه المدينة قبل عصر الدولة الصُليحية.

غير أن المصادر التاريخية صمتت تماماً عن ذكر تفصيلات لحركة الاصلاح العمراني لآثار مدينة صنعاء في عصر الدولة الصُليحية بإستثناء ما أورد الوصابي في تاريخه المعروف "الوصاب"[3] و ابن المجاور في تاريخه المعروف "المستبصر"[4] عن تعميرعلي بن محمد الصُليحي للعديد من المساجد داخل و خارج مدينة صنعاء.

الصُليحي بمجرد سيطرته على اليمن شرع في اصلاحه فعمر صنعاء الخربة و عمّر ما تشعث فيها من المساجد و العمائر الدينية فأضفي ذلك علية هيبةو وقاراً وكنَّ من المسلمين على مذاهبهم المختلفة الاحترام و التقدير.

العمائر الدينية و المدنية و العسكرية

شهدت بلاد اليمن عامة و صنعاء في عصر الدولة الصُليحية عناية خاصة ببناء العمائر الدينية و المدنية و العسكرية كما عكست ذلك اكثر المصادر التاريخية فتجلت عظمة و ثراء عصر الداعي علي بن محمد الصُليحي من خلال تشييد المساجد و مختلف الاماكن. ففي مجال العمائر الدينية كان اهتمامهم واضحاً بانشاء العديد من المساجد في مناطق مختلفة في بلاد اليمن كما يذكر اكثر المؤرخين انّ الداعي علي بن محمد الصُليحي اهتم بالعمارة الدينية اهتماماً يمكن القول معه انها كانت محور اهتمامه الاول من خلال اقوال المؤرخين و قد جاء في تاريخ مدينة صنعاء للرازي ان الامن توطد، و الاحوال استقرت على عهد هذه الدولة، و عمرّت المساجد و اصلح بناؤها و أقيم لها المرافق[5] و ايضاً قال ابن مجاور في تاريخه: "ان الداعي علي بن محمد الصُليحي إلى جانب تعمير مساجد صنعاء و إصلاحها، و هي مساجد كانت قائمة قبل قيامه بالثورة نجده يشيد مساجد خارج مدينة صنعاء"، و لكن الذي يؤسف له أن المؤرخ إبن المجاور لم يسم هذه المساجد.

بالاضافة إلى إنّ اهتم الصُليحيّون ايضاً بانشاء نوع من العمائر الدينية تمثل في المشاهد إلا انَّهُ لم يصلنا فى هذه المشاهد غير مشهد الملكة السيدة الحرّة أروى.

يذكر المؤرخ عمارة اليمني: "و انزل المكرم رأس ابيه و عمه و بنى مشهداً عليها و قد أدركت مشهد الرأسين"[6] و يوضح هذا النص بأن مقر مشهد الرأسين في مدينة زبيد حيث أقام الملك المكرم البناء.

و يذكر الباحث حسين الهمداني نقلاً عن عيون الاخبار: "أنّ الملك المكرم قد امر لما بلغ المهجم في ٤٦١هـ/١٠٦٨ بحمل جثتي والده و عمه عبدالله بن محمد الصُليحي في تابوتين إلى زبيد ثم سار بهما إلى صنعاء فدفنهما إلى يمين الجبانة العامة و أمر ببناء مشهد جامع لهما"[7].

و هذا النص يوضح لنا أن الملك المكرم بنى مشهدين الاول في زبيد عند التخلص من سعيد الاحوال بن نجاح و دفن فيه الرأسين

١. محمد بن علي الاكواع، اليمن الخضراء، صص ٤٢٩-٤٣٠.

٢. اسماعيل بن علي الأكواع، لمحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الاسلامية في الوطن العربي)، صنعاء، ١٩٨٠ م، ص ٥١.

٣. وجيه الدين الوصابي: تاريخ وصاب الأعتبار في التواريخ و الآثار، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، صنعاء، نشر مركز الدراسات اليمانية ١٩٧٩م.

٤. ابن المجاور: صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، نشر المدينة دار التنوير، ١٤٠٧هـ.

٥. الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٢٩.

٦. حسين بن فيض الله الهمداني، الصلَيحيّون و الحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، نشر مطبعة الرسالة، ١٩٥٥م، ص ١٣٤.

٧. حسين بن فيض الله الهمداني، الصلَيحيّون و الحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، نشر مطبعة الرسالة، ١٩٥٥م، ص ١٣٤.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

و لذلك سمي "مشهد الرأسين" و المشهد الثاني في صنعاء و دفن فيه الجثتين بعد استخراجهما من المهجم على اعتبار أنّ صنعاء حاضرة لملكه و مقر اقامته قبل الانتقال إلى ذي جبلة و في رأيي ان الملك المكرم قد نقل الرأسين و الجثتين بعد استخراجهما من المهجم على اعتبار أنّ صنعاء حاضرة لملكه و مقر اقامته قبل الانتقال إلي ذي جبلة و في رأيي ان الملك المكرم قد نقل الرأسين و الجثتين إلي صنعاء و دفنهما في المشهد الذي بنى في زبيد كان مشهداً رمزياً فقط إكراماً لوالده و عمه و تقديساً لروحهما لأنّه من غير المنطقي أن يدفن الرأسين في مشهد و يدفن الجثتين في مشهد آخر، ثم إن زبيد بعيدة و يسكنها الاحباش انصار سعيد الاحوال و جياش بن نجاح أعداء الداعي الصُليحي فكيف يأمن على الرأسين من النبش فمن الراجح أن مشهد زبيد كان مشهداً رمزياً أما مشهد بجامع صنعاء فهو الذي دفن فيه الصُليحي و أخوه عبدالله بكامل اعضائهما.

والجديربالذكر ان القصور و عمائر الصُليحيين تعرضت للهدم و التعدي و كان من الممكن أن يُكَوّنَ هذا المشهد الجامع الذي شيده الملك المكرم فكرة واضحة عن عمارة المشاهد المستقلة بذاتها في عصر الدولة الصُليحيةو يؤكد حسين الهمداني: "أن المشهد الجامع الذي شيده الملك المكرم في صنعاء الجبانة قد عفى المتغلبون الظالمون آثاره و هدموا مناره"[1]

و في مجال العمائر المدنية، اهتم الصليحيين بانشاء الصور و المعالم العظيمة بمدينة صنعاء، هذه المآثر تكشف عن ازدهار عمراني عظيم كما يؤكد على ذلك المؤرخ عمارةاليمني حيث يشير إلى استخدام الصُليحيين للحجارة في تشييد قصورهم. و قد أشار إلى هذه القصور الزاهرة المؤرخ اليمني عبدالرحمن بن علي بن الديبع (ت ٩٤٤ هـــ) فقال: "شيد الصُليحي بصنعاء عاصمة ملكه عدة قصور"[2]. و من هذه القصور العظيمة التي بناها الصُليحي أسكن فيها ملوك اليمن تحت لواء واحد[3].

و إستمر إهتمام الملك المكرم أحمد بالتعمير و انشاء المدن اليمنية. و من اعظم المدن التي شيدها الصُليحيّون مدينة الجبلة و هي أحسن مدن اليمن[4]. و انشاء هذه المدينة الواقعة بين صنعاء و عدن كان يشكل ضرورة قصوى للصُليحيين خاصة بعد وفاة علي بن محمد الصليحي. وقد ارتأت السيدة بنت أحمد ان تجعل هذه المدينة عاصمة للدولة الصُليحية و حاضرةلها بعد أن درست الظروف المحيطة بهذه الدولة فاستبدلت عاصمتها، للتخلص من الاضطرابات السائده في صنعاء بعد مقتل علي بن محمد الصُليحي، فعايشت الأمن الطبيعي والرخاء المادي فى احضان جبلة. فأقامت السيدة بنت أحمد بذي جبلة دارالعز الثانية[5] و كان حائطاً يشتمل على بستان و اشجار كثيرة و هو مطل على النهرين و على دارالعز الاولى التي شيدها عبدالله بن محمد الصُليحي سنة ٤٥٨ هـــ و بلغ الإزدهال العلمي و الثقافي ذروته في عهد الملكة الحرّة السيدةبنت أحمد و شاعت القصور في التعكر و ذي جبلة[6] و كان عصرها يمثل قمة إزدهار عصر الدولة الصُليحية العمراني[7].

من المنشآت الهامة ايضاً التي إهتم ببناءها الصُليحيون، الطرقات و المنشآت المائية تتمثل في نقل المياه من مسافات بعيدة على قناطر ممتدة.

رغم ان الدهر أتى على هذه القصور و الطرقات فى مدينة صنعاء و لم يبقَ من معالمها رسم و لا أثر الا ان عمارة اليمنى نجده يشير عنها فيما يلى من النص الهام: "و حدثني محمد بن بشارة من اهل صنعاء سنة خمس و ثلاثين و خمسمائه و ذكر أن عمره قد ناهز الثمانين قال إن جميع من بنى داراً صنعاء يبني بأنقاض قصور الصُليحي و مافي طوبه و احجار و أخشابه[8]".

اما عن العمارة الحربية في عصر الدولة الصُليحية في بلاد اليمن فإنه يمكن القول أن العمارة الحربية قد اسهمت بدور هام في عصر الدولة الصُليحية فقد بدأ الأمراء الصُليحيون عهدهم ببناء انواع مختلفة من العمائر الحربية فبنوا الحصون و الربط و القلاع و يعتبر

---

١. حسين الهمداني: الصُليحيون، ص ١٣٤.

٢. عبدالرحمن بن علي ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله الحبشي، صنعاء، نشر مركز الدراسات اليمنية، ١٩٧٩م، ص ٤٦.

٣. حسن سليمان محمود: الملكة أروى، ص ١١.

٤. شهاب الدين ابي عبدالله بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، نشر دار صادر، دار بيروت ١٣٧٤-١٣٧٦ هـــ ج٥. صص ١٠٦-١٠٧.

٥. كانت دار العز الاولي المدينة التي شيدها عبدالله بن محمد و اول ما إحتط ذي جبلة عبدالله بن محمد الصليحي انظر ابن المجاور، تاريخ المستبصر، صص ١٦٨-١٦٩. محمد بن علي الأكواع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـــ، ص ٨٣.

٦. ياقوت الحموي: المعجم البلدان، ص ٤٧١.

٧. عمارة اليمني: تاريخ اليمن المسمي المفيد، ١٤٢.

٨. عمارة اليمني: تاريخ اليمن المسمي المفيد، ص ١٢٠.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

الداعي علي بن محمد الصُليحي من اهم المنشئين العظام لتلك العمائر الحربية فقد كانت إنعكاساً للحالة اسياسية التي مرت بها الدولة الصُليحية في بداية قيامها. كما قاموا باصلاح بعض التحصينات و قد ساعدهم على ذلك طبيعة البلاد الجبلية و حصانتها الطبيعية، فقد عمر الداعي علي بن محمد الصُليحي حصن مسار و بناه و حصنه[1] و ذلك وقت قيامه بإعلان دولته في عام ٤٣٩ هـ/١٠٤٧ م مما كان له اثراً عظيم في إنتصاراته المتوالية.

بعد نزول الصُليحي من مسار و سيطرته على صنعاء عاصمة لدولته و مقر لملكه رأى أن تحصينها ضرورة وفق ما ذكر المؤرخ إبن المجاور في تاريخه المعروف بتاريخ "المستبصر" فأدارها بسور بالحجر و الجص و ركب عليه سبعة ابواب: باب غمدان ينفذ إلى اليمن و باب دمشق ينفذ إلى مكةو باب خندق الاسفل يخرج السيل، و يسقي الارض و باب النصر ينفذ إلى جبل نقم و براش؛ وباب شرعة ينفذ إلى بستان السر[2] و يضيف ابن المجاور مانصه: "أراد الصُليحي إن يبني من زبيد إلى مكة في مرحلة من المراحل رباطاً يذكر بعد موته و لازال يبني إلى أن وصل المهجم"[3].

و يضيف ان الصُليحي اهتم بانشاء العمائر الحربية في المناطق الاخرى من اليمن كما يؤكد المؤرخ الوصابي باهتمام الصُليحي في انشاء العمائر العسكرية في وصاب كما جاء في تاريخه المعروف بتاريخ "الوصاب": "اعلم أن الملك علي بن محمد الصُليحي إستوالى على جميع اليمن و وصاب و هو الذي أمر بعمارة حصن نعمان و درجه حسن عتمة ايضاً[4].

هذا النص مهم جداً بسبب ما يؤكد عليه الوصابي و ما ذكره ابن المجاور من تعمير، اصلاح و ما انشاء علي بن محمد الصُليحي للبلاد اليمنية تحصينه لها.

تطور عمارة المسجد في عصر الدولة الصُليحية:

تشير المصادر التاريخية إلي أن بلاد اليمن كانت قبل الدولة الصليحية تزدان بكثرة مساجدها و قد ازدهرت حركة العمارة في اليمن في عهد الصُليحيين خاصة علي يد الداعي السلطان علي بن محمد الصُليحي. لهذا السبب يتميز هذا العصر بكثرة المساجد و الاماكن الدينية الجميلة و ما ينسب للبناء الصُليحي من فضل في عمارة المساجد في اليمن هو إدخاله العناصر المتعددة و التقاليد الجديدة في بناء المساجد المتمثلة في عنصر المحراب كقطعة فنية جميلة اوالبلاطة الوسطى و المآذن المزخرفة البديعة.

فهناك أصول خاصة شيدت على اساسها المساجد اليمنية فشيدت على طراز خاص كما يلاحظ ذلك في الجامع الكبير بصنعاء و او جامع الجَنَد و جامع شَبام كوكَبان و الجامع الكبير بزَبيد و الجامع الكبير في مدينة إب و جامع ذي أشرق و بدأ هذا الطرازفي صحن و ظلات أولى في جامع صنعاء ثم تطور بعد ذلك فأصبح عبارةعن صحن مكشوف تحيط به الأروقة.

يذكر باحث عبدالله كامل موسى عبده في كتابه: "الحق أنه عند التعرض لدراسة المساجد اليمنية السابقة لم نجد بها هذا العنصر و اعتقد أن بداية ظهور بلاطة المحراب في المساجد اليمنية كان في عصر الدولة الصُليحية في جامع السيدة بنت أحمد في جبلة"[5].

ذلك وفق ما أورده المؤرخ اليمني الرازي في تاريخه حيث يشير النص التاريخي الذي ذكره عن الجامع الكبير بصنعاء أن المحاريب في المساجد اليمنية كان يغلب عليها أن تكون من مادة الجص المزخرف و ذلك قبيل الدولة الصُليحية[6].

و ايضاً تميزت المساجد الصليحية بعنصر البلاطة الوسطي (في تخطيط جامع السيدة الحرّة بنت أحمد) و كذلك قبة البهو التي تتقدم بلاطة المجاز و بائكة رواق القبلة التي تشرف على الصحن و هذه التقاليد الجديدة و التي تشمل أيضاً المدخل الذي فتح في جدار القبلة إلى جانب ظهور العقود المدببة ذات المركزين و المتطورةعن العقود المدببة السابقة عليها في المساجد اليمنية ثم العقود المدببه التي تقترب كثيراً من العقود الفاطمية في مصر ذات المراكز الأربعة تعد من مميزات العمارة الصُليحية في اليمن.

اما من ناحية تخطيط المسجد فلم يكن للصُليحيين طراز معماري خاص بهم و لم تأت مساجدهم بجديد فمن خلال الوصف السابق، نلاحظ اكثر المساجد الصليحيين خاصة جامع السيدة الحرة بنت أحمد استقى اصوله من طراز المساجد اليمنية السابقة ممثلة في الجامع

---

١. حسين الهمداني: الصليحيون، ص ٧٦.

٢. ابن المجاور: تاريخ المستبصر، صص ١٧٩-١٨٠.

٣. ابن المجاور: تاريخ المستبصر، صص ٧٥.

٤. الوصابي: تاريخ الوصاب، صص ٩٣-٩٤، ١٠٥.

٥. عبدالله كامل موسي عبده: الفاطميون، آثارهم المعمارية في إفريقية و مصر و اليمن، القاهرة، دار الافاق العربية، ٢٠٠١م، ص ١٥٢.

٦. انظر: الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، صص ٨٥-٨٧

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

الكبير بصنعاء و قد بدأ هذا الطراز بصحن مكشوف يحيط به.

هذا و قد تميزت المساجد اليمنية بتغطيتها و هي غالباً من سقوف خشبية مسطحة و قد إزدانت هذه السقوف بزخارف متنوعه وفق اسلوب فني وصناعي ظهرفي اليمن مبكراً.

في الجامع الكبير بصنعاء جاء السقف من الواح خشبية سميكة متقاطعة متشكلة من مساحات صغيرة و مربعة الشكل غنية بالزخارف النباتية و الهندسية.

بالإضافة إلى ذلك اسهمت التكوينات الزخرفية النباتية و الهندسية بدور هام و اساسي في زخرفة و تزيين العمائر و المساجد الاسلامية. و قد استخدم الفنانون التكوينات النباتية و الهندسية على العمائر الدينية في عصر الدولة الصُليحية.

تعتبر السقوف الخشبية من اهم مميزات العمارة اليمنية الاسلامية و لهذا السبب كان استخدام العمران اليمني في عصر الدولة الصُليحية ايضاً من الاسقف الخشبية في التغطية و وفق أسلوب فني و صناعي يعرف بالمصندقات الخشبية.

و في الجامع الكبير بصنعاء جاء السقف من عوارض خشبية سمكية متقاطعة مؤلفة من مساحات صغيرة و مربعة الشكل، كما في جامع شَبام كوكبان الغني بالزخارف النباتية و الهندسية[1].

اسهمت التكوينات الزخرفية النباتية بدورهام في زخرفة و تزيين العمائر الاسلامية بسبب ابتعاد الفنان المسلم منذ بداية العصر الاسلامي عن الرسوم الحيوانية و الآدمية على العمائر الدينية.

قد وجدت الزخارف النباتية في سقف الجامع الكبير بصنعاء و جامع شَبام كوكَبان و جامع و مشهد السيدة بنت أحمد و ايضاً تجلت هذه التكوينات النباتية بالنقش في الجص و تطورت هذه التكوينات البسيطة إلى تكوينات مركبة و عن أسلوب مزج الزخارف الهندسية مع الزخارف النباتية.

جدير بالذكر هوأنّ تقويم التكوينات الزخرفية الهندسية في بلاد اليمن قبل عصر الدولة الصُليحية، خاصة في جامع شَبام كوكَبان و الجامع الكبير بصنعاء. قد تجلت بشكل بسيطة كالمربعات و المستطيلات و الاشكال المتقاطعة، و لكن في عصر الدولة الصُليحية تطورت تلك التكوينات الزخرفية الرائعة و الجميلة.

الخاتمة

هذه المقالة دراسة تاريخية و حضارية في مجال عصر الدولة الصُليحية وقد تناولت بعض النتائج البارزه من خلال البحث و الدراسة الموضوعية وكما يلي:

اولاً: تبعت بلاد اليمن قبل الدولة الصُليحية الخلافة الاسلامية و بشكل عام منذ الخلفاء الراشدين حتى خلافة العباسيين و بعد قيام الداعي علي بن محمد الصليحي و استقراره في صنعاء يعلن استقلالها أوج ازدهارها خلال عصر الداعي علي بن محمد الصُليحي و الملك المكرم الملكة السيدة بنت احمد و قد اعتمدت في هذه الدراسة على "سجلات المستنصرية" التي أوضحت العلاقة الودية و الطيبة بين الدعاة و الملوك الصُليحيين و الخلفاء الفاطميين.

ثانياً: تناولت هذه الدراسة التاريخية اهمية شخصية ملوك الصُليحيين و درجة ثقافتهم الدينية و اهتمامهم الكبير بالعمران و انشاء المدن و المساجد و المشاهد و تحكيم الاستحكامات الحربية في بلاد اليمن.

ثالثاً: و قد تناولت الدراسة في هذه المقالة وجود علاقات ودية و طيبة و قوية بين الدولتين، و قدقام الملك الصليحي في اليمن نائباً عن الخليفة الفاطمي و قد منح الخليفة الفاطمي الألقاب للصليحي تشجيعاً له و اعترافاً بفضله.

رابعاً: كان للعلاقات بين الدولتين الصُليحية و الفاطمية ردود فعل على العمارة الدينية في اليمن.

خامساً: شهدت بلاد اليمن خلال عصر الدولة الصُليحية نهضة حضارية عظيمة لاهتمام الصُليحيين بتعمير و ترميم و اصلاح و انشاء المدن و تشييد العمائر الدينية و الحربية و بالتالي البدء في حركة عمران كبيرة، وكان اختيار مدينة صنعاء حاضرة لدولتهم أهمية خاصة منحت صنعاء مكانة هامة بين المدن اليمنية.

سادساً: و قد تناولت الدراسة التاريخية لعصر الدولة الصليحية توضيح مقوّمات تطور العمائر الدينية في اليمن من حيث التخطيط و العناصر المعمارية الخاصة بالمساجد و المشاهد كعنصر الزخرفة النباتية و الهندسية و النقوش الكتابة.

المراجع

١. عصام الدين عبدالرؤف: اليمن في ظلل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، دارالفكر العربي، ط ١، ١٩٨٣.

٢. سيف الدين القصير: ابن حوشب و الحركة الفاطمية في اليمن، دمشق، دارالينابيع، ١٩٩٤م.

١. مصطفي عبدالله شيحة: مدخل إلى العمارة و الفنون الاسلامية، صص ١٤٣-١٤٤.

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:34 IRDT on Monday August 31st 2020

٣. نجم الدين عمارة بن علي اليمني: تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء و زبيد و شعراء ملوكها و اعيانها و ادبائها، تحقيق القاضي محمد علي الأكواع، نشر مطبعة السعادة، ١٣٩٩هـ. ق.

٤. ابن الطوير، نزهة المقلتين فى اخبار الدولتين، اعاد بناءه و حققه أيمن فؤاد سيد، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢.

٥. الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكواع، صنعاء، مركز الدراسات و البحوث اليمني، ١٤٠٣ هـــ.

٦. ابوالقاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي: صورة الارض، بيروت، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩.

٧. شهاب الدين بن فضل الله العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار، القسم الخاص بممالك اليمن، تحقيق أيمن فؤاد، القاهرة، ١٣٠١.

٨. يحيي بن الحسين بن القاسم بن محمد: غاية الاماني في اخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، جزآن، القاهرة، نشر دارالكتاب العربي، ١٣٨٨.

٩. حسن سليمان محمود، الملكة أروى سيدة ملوك اليمن، نشر دارالثناء للطباعة والنشر

١٠. احمد بن عبدالله بن محمدالرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق عبدالله العمري، صنعاء، الطبعة الثالثة، ١٤٠١ م.

١١. اسماعيل بن علي الأكواع، لمحة تاريخية عن صنعاء (الآثار الاسلامية في الوطن العربي)، صنعا، ١٩٨٠ م.

١٢. وجيه الدين الوصابي: تاريخ وصاب الإعتبار في التواريخ و الآثار، تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي، صنعاء، نشر مركز الدراسات اليمانية ١٩٧٩م.

١٣. ابن المجاور: صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، نشر المدينة دارالتنوير، ١٤٠٧ هـــ.

١٤. حسين بن فيض الله الهمداني، الصُليحيون و الحركة الفاطمية في اليمن، القاهرة، نشر مطبعة الرسالة، ١٩٥٥م.

١٥. عبدالرحمن بن علي ابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله الحبشي، صنعاء نشر مركز الدراسات اليمنية، ١٩٧٩م.

١٦. شهاب الدين ابي عبدالله بن ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، نشر دارصادر، داربيروت ١٣٧٤-١٣٧٦هـــ

١٧. محمد بن علي الأكواع، اليمن الخضراء مهد الحضارة، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـــ.

١٨. عبدالله كامل موسى عبده: الفاطميون، آثارهم المعمارية في إفريقية و مصر و اليمن، القاهرة، دار الافاق العربية، ٢٠٠١ م.

١٩. مصطفي عبدالله شيحة: مدخل إلى العمارة و الفنون الاسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، القاهرة، ١٤٠٨ هـــ.

٢٠. عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدا و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوى السلطان، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٩٢، ج٤.

٢١. ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد ابي بكر بن خلكان، وفيات الاعيان و انباء ابناء الزمان، بيروت، دارصادر، بلا تاريخ، ج ٣.

٢٢. تقى الدين احمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمى محمد احمد القاهرة، ١٩٧١، ج ١.

٢٣. احمد بن عبدالله القلقشندى: صبح الاعشى، شرحه و علق عليه و قابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، بيروت لبنان، دارالكتاب العلمية، ١٩٨٧، ج١٣.

٢٤. قاضى نعمان بن حيون: افتتاح الدعوة، بيروت، دارالاضواء، ١٩٩٦